

كلية دار العلوم

الفرقة الرابعة

مقدمة الموضوع

المبحث الأول : أبي حنيفة
(نسبه ، نشأته)

أبو حنيفة هو النعمان بن ثابت بن مرزُبان الكوفيّ فقيه وعالم مسلم، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي ،يلقب في التراث العربي الإسلامي (بالإمام الأعظم).

وقال البرتي القاضي : سمعت أبا نعيم يقول : كان أبو حنيفة جميلا ، وحسن الوجه ، حسن اللحية ، حسن الثواب.

وقال أبو يوسف : كان أبو حنيفة ربعة من الرجال ليس بالقصير ، ولا بالطويل ، وكان أحسن الناس منطقا ، وأحلاهم نغمة وأبينه عما تريد.

قال عمر بن جعفر بن إسحاق بن عمر بن حماد بن أبي حنيفة : إن أبا حنيفة كان طويلا تعلوه سموة ، وكان لباسا حسن الهيئة كثير التعطر ، يعرف بريح الطيب إذا أقبل ، وإذا خرج من منزله قبل أن تراه . (1)

ولد الإمام أبو حنيفة بالكوفة سنة 80 من الهجرة النبوية، الموافقة لسنة 699 من الميلاد، على رواية الأكثرين التي يكاد يجمع عليها المؤرخون.

وقال حججت مع أبي سنة ست وتسعين ، ولي ست عشرة سنة ، وإذا أنا بشيخ قد اجتمع الناس عليه فقلت لأبي : من هذا الرجل ؟ فقال : هذا رجل قد صحب محمدا صلي الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن الحارث بن جزء ، فقلت : أي شيء عنده ؟ قال : أحاديث سمعها من النبي صلي

الله عليه وسلم فقلت : قدمني إليه حتي أسمع منه ، فتقدم بين يدي فجعل يفرج عني الناس حتي دنوت منه فسمعته يقول: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : (من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب) (3)

وأبوه: هو ثابت بن النعمان بن زوطى بن ماه ، وهناك خلاف في تحديد انتماءه العرقي، حيث

---

(1) منازل الأئمة الأربعة ، أبي زكريا يحي ، ص 166

(2) الصيمري في أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص 4

توجد روايات متعددة، منها أنه من أصل فارسي وهذه الرواية متداولة ومعروفة والقول أنه من أصل نبطي بابلي عراقي منذ القدم ، وهو ما أثبتته عدد من الدراسات الأكاديمية التاريخية، حيث ثبتت عروبته وإنه من أصل عربي عند المؤرخين العرب مثل مصطفى جواد، وناجي معروف وغيرهم، ولقد ألف الأستاذ ناجي معروف كتابا يثبت فيه عروبته وانتماءه إلى أصل عربي بسند تأريخي، يبطل كل ما قيل عنه سابقا بأنه غير عربي، في كتابه القيم عروبة الإمام أبي حنيفة النعمان، واستنادا إلى مقولة: (أهل مكة أدرى بشعابها)، تؤكد المصادر الحنفية، أنه عربي الأرومة، وان ثابت بن المرزبان، من بني يحيى بن زيد بن أسد، من عرب الأزد الذين هاجروا من اليمن وسكنوا أرض العراق بعد انهيار سد مأرب جراء سيل العرم.

نشأ أبو حنيفة بالكوفة وتربى بها، وعاش أكثر حياته فيها في أسرة مسلمة ، صالحة غنية كريمة ، ولقد اتجه أول حياته لحفظ القرءان الكريم ، وكان بعد أن حفظه حريصا علي أن لا ينساه ، ولذلك كان من أكثر الناس تلاوة للقرءان ، فكان يختم القرءان مرات كثيرة في رمضان ، وقد جاء من عدة طرق براويات مختلفة : (أنه أخذ القراءة عن الإمام عاصم أحد القراء السبعة). (1)

ونشأ أبي حنيفة رحمه الله في بيت من بيوت التجارة بالكوفة ، فكانت أسرته تتجر في الخز وهو الثياب التي تكون من وبر أو صوف ويخالطها الحرير ، فلذلك كانت أسرته تجذبه للتجارة ، ولكنه مال في وقت فراغه للعلم وخاصة بسبب انتشار العلم الشرعي علي يد الصحابة ووالتابعين ، وكثرة النقاشات مع الفرق المنحرفة.

وعاش أكثر حياته في الكوفة متعلماً ومجادلاً ومعلماً، وكان أبوه من أهل اليسار والغنى، وأنه كان من التجار، وأنه كان مسلماً حسن الإسلام. ولقد روي أن علياً بن أبي طالب دعا لثابت عندما رآه بالبركة فيه وفي ذريته، ويؤخذ من هذا أنه كان مسلماً وقت هذه الدعوة، وقد صرحت كتب التاريخ بأن ثابتاً ولد على الإسلام، وعلى ذلك يكون أبو حنيفة قد نشأ أول نشأته في بيت إسلامي خالص، وذلك ما يقرره العلماء جميعاً إلا من لا يؤبه لشذوذهم ولا يلتفت لكلامهم.

ولقد كانت الكوفة وهي مولد أبي حنيفة إحدى مدن العراق العظيمة، بل ثاني مصريه العظيمين في ذلك الوقت، وفي العراق الملل والنحل والأهواء، وقد كان موطناً لمدنيات قديمة، كان السريان

---

(1) أبو حنيفة النعمان ، د.طارق السويدان ، ص20

قد انتشروا فيه وأنشأوا لهم مدارس به قبل الإسلام، وكانوا يدرسون فيها فلسفة اليونان وحكمة الفُرس، كما كان في العراق قبل الإسلام مذاهب نصرانية تتجادل في العقائد، وكانت العراق بعد الإسلام مزيجاً من أجناس مختلفة وفيه اضطراب وفتن، وفيه آراء تتضارب في السياسة وأصول العقائد، ففيه الشيعة، وفي باديته الخوارج، وفيه المعتزلة، وفيه تابعون مجتهدون حملوا علم من لقوا من الصحابة، فكان فيه علم الدين سائغاً مورداً، وفيه النحل المتنازعة والآراء المتضاربة.

فرأي أبي حنيفة كل هذه الأجناس، ونضج عقله فانكشفت له هذه الآراء، وابتدأ منذ الصبا يجادل مع المجادلين، ولكنه كان منصرفاً إلى مهنة التجارة، ويختلف إلى الأسواق ولا يختلف

إلى العلماء إلا قليلاً، حتى لمح بعض العلماء ما فيه من ذكاء وعقل علمي، فضن به، ولم يرد أن يكون كله للتجارة، فأوصاه بأن يختلف إلى العلماء كما يختلف إلى الأسواق. يروى عن أبي حنيفة أنه قال: مررت يوماً على الشعبي وهو جالس فدعاني، فقال لي: (إلى من تختلف؟)، فقلت: (أختلف إلى السوق)، فقال: (لم أعن الاختلاف إلى السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء) ، فقلت له: (أنا قليل الاختلاف إليهم)، فقال لي: (لا تغفل، وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وحركة)، قال: (فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم، فنفعني الله بقوله).(1)

وحين بلغ أبو حنيفة السادسة من عمره خرج به أبوه لأداء فريضة الحج وزيارة النبي صلي الله عليه وسلم ومسجده ، وكان أول ما اتجه إليه من العلوم هو علم أصول الدين ومناقشة أهل الإلحاد والضلال ، ودخل البصرة أكثر من سبع وعشرينن مرة يناقش ويجادل ويرد الشبهات عن الشريعة ، وناقش جهم بن صفوان حتي أسكته ، وجادل الملاحدة حتي أقرهم علي الشريعة ، وناظر المعتزلة والخوارج فألزمهم الحجة ، وجادل غلاة الشيعة فأقنعهم.

وثم انصرف بعد ذلك للعلم بعد نصيحة الشعبي، وصار يختلف لحلقات العلماء ، وقد ذكرت المصادر عدة روايات عن أبي حنيفة تدل على أنه عندما تفرغ لطلب العلم اتجه إلى الفقه بعد أن استعرض العلوم المعروفة في ذلك العصر، واختار أولاً علم الكلام والجدل مع الفرق ، ثم انصرف عنه إلى الفقه.

---

(1) أبو حنيفة حياته وعصره - آراؤه وفقهه، الإمام محمد أبو زهرة، ص 22

المبحث الثاني : أبو حنيفة

(تلاميذه ، شيوخه)